١٧ ـ باب قول الله تعالى

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾

وَفِي الصّحِيح عن ابن المسيب عَنْ أبيه قال: لما حَضَرَت أبَا طَالب الوفَاة ، جاءَه رسُول الله صلى الله عليه وسلم وعنْدَه عبْد الله بن أَبِي أمية وأبُو جَهْلٍ ، فقال لَه : «يَا عَم ! قلْ : لا إِلَه إلَّا الله ، كَلِمة أحاجّ لَكَ بها عِنْد الله». فقالَا له : أتَرْغب عَنْ مِلّة عَبد المطَّلب؟ فأعَادَ عليْه النبي صلى الله عليه وسلم ، فَأعَادَا، فكانَ آخِرَ مَا قَال: هو عَلى مِلّة عبْد المطَّلب، وَأَبَى أن يَقُول: لَا إِلَه إلَّا الله. فقَال النَّبي صلى الله عليه وسلم : «لأَسْتَغْفِرنَّ لَك مَا لَم أُنه عَنك» ، فأنزلَ الله عَز وجَلَّ: ﴿مَا كان لِلنَّبي والذين آمَنُوا أن يَسْتغفروا للمُشْركين) {التوبة:١١٣}.

وأنزَل الله في أَبي طَالب: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾{القصص:٥٦}.

فيه مسائل: الأولى: تفسير قوله : ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾.

الثانية : تفسير قوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.

الثالثة: ـ وهي المسألة الكبرى ـ : تفسير قوله صلى الله عليه وسلم : "قل : لا إله إلا الله" بخلاف ما عليه من يدعي العلم .

الرابعة: أن أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبي صلى الله عليه وسلم إذ قال للرجل: قل لا إله إلا الله . فقبح الله من أبو جهل أعلم منه بأصل الإسلام .

الخامسة: جده صلى الله عليه وسلم ومبالغته في إسلام عمه.

السادسة: الرد على من زعم إسلام عبد المطلب وأسلافه.

السابعة: كونه صلى الله عليه وسلم استغفر له فلم يغفر له ، بل نُهيَ عن ذلك .

الثامنة: مضرة أصحاب السوء على الإنسان.

التاسعة: مضرة تعظيم الأسلاف والأكابر.

العاشرة: الشبهة للمبطلين في ذلك ؛ لاستدلال أبي جهل بذلك.

الحادية عشرة: الشاهد لكون الأعمال بالخواتيم ، لأنه لو قالها لنفعته.

الثانية عشرة: التأمل في كبر هذه الشبهة في قلوب الضالين ؛ لأن في القصة أنهم لم يجادلوه إلا بها ، مع مبالغته صلى الله عليه وسلم وتكريره ؛ فلأجل عظمتها ووضوحها عندهم اقتصروا عليها .

الشرح:

باب قول الله جل وعلا ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ فكما أن الشفاعة ملك لله سبحانه وتعالى وحده يهبها لمن يشاء فكذلك الهداية يهبها لمن يشاء ـ هداية التوفيق إلى الحق والصواب والتوحيد ـ هذه لله جل وعلا وحده ، أي لا يستطيع أحد أن يوفق أحدًا للحق أو للتوحيد إلا الله جل وعلا وحده .

والهداية نوعان : هداية توفيق ، وهداية إرشاد ودلالة وبيان .

النوع الأول : هداية التوفيق : فالله جل وعلا هو الذي يوفق العبد ويأخذ بقلبه إلى الحق ، ويقذف الحق في قلب من يستحق هذه الهداية ، ثم قال في ختام هذه الآية : ﴿ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ، هو أعلم بمن يستحق الهداية ، فالذي يتقي ويبحث عن الحق والخير ويقدم خطوات في البحث عن الحق وعن الخير فإن الله جل وعلا ييسر له طريق الهداية ، والذي يُعْرَضُ عليه الحق ثم يُصر ويستكبر عنه فإن الله جل وعلا يخذله ويصرف عنه الهداية ، أي هداية التوفيق، وهذا النوع الأول.

النوع الثاني : هداية البيان والإرشاد والدِلالة : أي تُبين للناس وتوضح لهم الحق والتوحيد والسنة ، وهذا النوع يكون للرسل والأنبياء والعلماء والدعاة إلى الله جل وعلا إلى أن تقوم الساعة، وهذه التي جاء فيها قوله تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾{الشورى :٥٢} والمعنى : إنك لتبين وترشد وتدل الناس على صراط الحق، أما الذي جاء في هذا الباب ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ أي لا تستطيع أن توفقه للحق أو للتوحيد والإيمان .

قوله : باب قول الله جل وعلا ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ تبين من هذا أن الهداية من النفع ، وهذا النفع نفاه الله جل وعلا عن نبيه صلى الله عليه وسلم وعن غيره بطريق الأولى ، وإذا كان الله جل وعلا نفاه عن نبيه وهو حي وعن غيره بطريق الأولى فكيف بعد موته صلى الله عليه وسلم ، فإذا كان لا يملك هذا النفع وهو حي فكيف يُسأل بعد موته صلى الله عليه وسلم ؛ وكيف يُسأل غيره ممن هو دونه صلى الله عليه

وسلم في المرتبة وفي المنزلة والمكانة ، فهو صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم وأشرف الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم ، ومعلوم مكانته عند ربه عز وجل ، ومع ذلك مُنع هذا النفع وأن ينفع أقرب الناس إليه في آخر لحظاته ، وهو عمه أبوطالب، يريد أن يستخرج منه هذه الكلمة ليجادل عنه بها يوم القيامة، فلم يستطع ومُنع هذا النفع، فكيف بغيره من الأحياء والأموات ؟!

فهذه الآية فيها أعظم رادع وأعظم رد للذين يتعلقون بأصحاب القبور ويتعلقون بأصحاب الأضرحة وما أكثرهم في بلادنا ، لا كثرهم الله ، قبور تعبد في شرق البلاد وغربها وشمالها وجنوبها في أكثر بلاد العالم الإسلامي من المحيط إلى المحيط ، فكم فيها من الأضرحة والقبور التي تعبد من دون الله ، كذلك لا تكاد تجد بلدة أو قرية إلا فيها ولي على حد زعمهم يُعْبَدُ مِنْ دُون الله ، يُسْتَشفع به وينذر له ويدعى ويذبح له ويتوسل به ؛ إلى غير ذلك من العبادات ؛ بقصد أن لا يضروهم أو ينفعوهم أو يشفعون لهم ، وكل هذه نفاها الله جل وعلا، فنفى عن أي أحد أن يكون له ملك في هذا الكون مع الله استقلالا أو شركة أو وزارة وإعانة فلم تبق إلا الشفاعة فنفاها الله جل وعلا بقوله ﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ﴾{الزمر :٤٤}فماذا بقي لهؤلاء؟ أليس هذا من أجهل الجهل ؟ ومن تضييع الأوقات والأموال والأنفس والمهج في رفات عظام ؟ إن كان فيها عظام ، فكم من قبور ليس فيها عظام البتة ومع ذلك تعبد من دون الله جلا وعلا ، فلم يبق لهؤلاء أي تعلق ، فإذا وقفنا عند هذه الآية ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم وهو سيد الأنبياء والمرسلين منع هذا النفع لأقرب الناس إليه في أحلك اللحظات وهو حي ، فكيف بمن دونه من الناس فكيف بالأموات فكيف بتراب ليس عليه أموات وبأضرحة ليس تحتها شيء؟ سبحان الله ! كيف مسخت هذه العقول على الأبدان ، فلذلك كان لا بد من بيان هذا الفقه للناس وهو ما يتعلق بمسائل التوحيد والعبادة وما يضاده من الشرك ، لأن كثيراً من الناس عندهم غفلة وعلى قلوبهم غشاوة ويتأثرون بعلماء السوء الذين يريدون أن يعيدوا الشرك مرة أخرى، يعيدوها جذعة شابة مرة أخرى في بلاد المسلمين، لكنّ الله جل وعلا غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

قوله : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي ﴾ {إِنَّ} مؤكدة ، **والكاف** للخطاب ، خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، وأمته تابعة له في ذلك ، و{لا} ناهية ، كما قال تعالى : ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾{آل عمران:١٢٨}﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي ﴾ أي لا تملك هداية التوفيق لمن أحببت .

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ هل هذا يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب عمه أبا طالب؟ هذا احتمال ، ولكن هل هو حب طَبَعي أم شرعي؟

الجواب : أن هذا حب طَبَعي ، أي كما يحب الإنسان والده وكما يحب الإنسان زوجه وأولاده ؛ لأن عمه أحاطه بالرعاية منذ أن كان عمر النبي صلى الله عليه وسلم ثماني سنوات ، فبعد موت جده دخل في كفالة عمه أبي طالب، وظل في كفالته ورعايته حتى بعد البعثة النبوية بثماني سنوات، أي جلس في رعايته وكفالته أكثر من أربعين سنة ، وهو يحوطه برعايته وعنايته ويدافع عنه ويعادي قريشاً من أجله صلى الله عليه وسلم ، وقد اشتهر عنه هذه الأبيات في الدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم :

وَاللَّهِ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ حَتَّى أُوَسَّدَ فِي التُّرَابِ دَفِينًا

فَاصْدَعْ بِأَمْرِكَ مَا عليك غضاضة وابشر بِذَاكَ وَقِرَّ مِنْكَ عُيُونًا

وَدَعَوْتَنِي وَعَرَفْتُ أَنَّكَ نَاصِحِي وَلَقَدْ صَدَقْتَ وَكُنْتَ ثَمَّ أَمِينًا

وَعَرَضْتَ دِينــًا قَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّهُ مِنْ خَيْرِ أَدْيَــانِ الْبَرِيَّةِ دِينــًا

ثم يقول معتذرا عن نفسه :

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينَا

لَوْلَا الْمَلَامَةُ أَوْ حَذَار مَسَبَّةٍ لَوَجَدْتَنِي سَمْحًا بِذَاكَ مُبِينَا

{وَاللَّهِ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ} : أي الأعداء وأهل الشرك .

{فَاصْدَعْ بِأَمْرِكَ}: ادع بما شئت .

{وابشرِ بذَاكَ وَقِرَّ مِنْكَ عُيُونًا} : أي وتقر عينك فإنني أحميك وأحوطك .

{لَوْلَا الْمَلَامَةُ أَوْ حِذَارُ مَسَبَّةٍ} : أي يستحي أن تتكلم عليه قريش أو تقول عنه أنه ترك دين آبائه وأجداده ، وأنه ترك ملة عبد المطلب كما سيأتي في الحديث.

جاء في صحيح مسلم أنه قال ـ أي : أبو طالب ـ : { لَوْلَا أَنْ تُعَيِّرَنِي قُرَيْشٌ، يَقُولُونَ: إِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ الْجَزَعُ لَأَقْرَرْتُ بِهَا عَيْنَكَ}([1]) ، أي بهذه الكلمة ، آثر أن يخسر دنياه وأخراه وهو على مشارف فراق الدنيا مخافة من التعيير، فخسر

---

[1]) رواه مسلم في صحيحه برقم { ٤٢ – (٢٥) }.

الدنيا والآخرة ، وهذا حال بعض الناس ، تقول له يا فلان السنة أن تطلق اللحية ، السنة أن تقصر ثوبك ، السنة أن تستاك عند الصلاة أو نحو ذلك ، فيقول : أنا أستحي من الناس ، أستحي أن يقولوا هذا الشخص رجعي ، أو يخالف ما عليه الناس ونحو ذلك.

ولكن اعلم ـ رحمك الله ـ أن الذي يتكلم عليك لا ينفعك عند الله جل وعلا ، ولا ينفعك في قبرك ولا عندما تخرج من قبرك وحدك ، وتذكر قول الله عزوجل : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾{الأنعام :٩٤} ، فلن يدخل أحد معك القبر ولن يجادل عنك أحد ، وعندما تُبعث ؛ تبعث وحدك ، وعندما تقف بين يدي الله جل وعلا ليحاسبك ؛ يحاسبك وحدك ، فمن أجل ذلك عليك أن لا تخف في الله جل وعلا أو في دينه لومة أحد كائناً ما كان ، ما دام هذا هو الحق وهو الصواب ؛ فهذا هو طريق النبي محمد صلى الله عليه وسلم فالزمه ، وتذكر أنك تدخل قبرك وحيدًا وتبعث وحيداً .

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ أي : لا تهدي من أحببته .

القول الأول لأهل العلم أن المقصود هنا ﴿ أَحْبَبْتَ﴾ أي : أبا طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم ، وتكون هنا المحبة محبة طبعية لقربه له ولنصرته ولإحاطته له وغير ذلك .

القول الثاني : أن التقدير هو : إنك لا تهدي من أحببته كائنا من كان ، لا تهدي من أحببته سواء كان عمك أو غيره ، لا تستطيع أن تهديه هداية التوفيق التي تقود الإنسان إلى النجاة .

قوله : ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ أي هداية التوفيق إلى الحق والصواب ، فهي بيد الله جل وعلا .

قوله : «**وفي الصحيح**»([1]) أي في الصحيحين البخاري ومسلم ، عن ابن المسيب ، أي عن سعيد بن المسيب بن حزن ، إمام التابعين، والمسيب وأبوه صحابيان ، و**المسيِّب** أو **المسيَّب** بفتح الياء المشددة وكسرها ، وكان يقول سيَّب الله من سيَّبني ، لكن علماء الحديث يقولون : المسيِّب والمسيَّب بفتح الياء المشددة وكسرها ، والأمر في هذا واسع .

---

[1]) رواه البخاري في صحيحه برقم {١٣٦٠}، ومسلم برقم { ٣٩ – (٢٤) }.

قوله :«عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة» هذا كان في السنة الثامنة من البعثة ، وزيادة أشهر.

قوله : «جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم » جاء النبي صلى الله عليه وسلم لعيادته ، وأهل العلم استفادوا من هذا فائدة : أنه تشرع زيارة أو عيادة المريض المشرك لدعوته للإسلام، ربما يسلم في لحظات المرض التي يشعر الإنسان فيها بالضعف والمسكنة وغير ذلك ، وأيضا أخذوا من هذا أن الإنسان لا ييأس ، فإن أبا طالب لم يسلم، ومع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم لم ييأس من دعوته ومن إسلامه ؛ حتى آخر لحظات في حياته ، فأخذ أهل العلم من هذا أن الإنسان لا ييأس من الدعوة إلى الله جل وعلا مهما كانت الأسباب ، ومهما كان الشخص المدعو أو الأشخاص.

قوله : «وعنده عبد الله بن أبي أمية» هو عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي ، أخو أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وعبد الله قد أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه .

قوله : «وأبو جهل» وكان يكنى في الجاهلية بأبي الحكم ، واسمه عمرو بن هشام ، وبعد ذلك كني بأبي جهل لجهالته وجهله .

فعبد الله بن أبي أمية وأبو جهل كانا عند أبي طالب قبيل موته، ويقال بأن المسيب كان معهم ، وهذا فيه احتمال ، وراوي هذه القصة أبو سعيد ، ويحتمل أنه حضر هذه القصة، ويحتمل أنه لم يحضرها ورواها لأنه صحابي، فالأمر في ذلك واسع، المهم أن هؤلاء الثلاثة أسلم منهم بعد ذلك المسيب وعبد الله بن أبي أمية وبقي أبو جهل على كفره ومات في بدر على كفره وشركه .

قوله :«فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عم» تقول يا عمي بإثبات الياء أو يا عمِّ بدون ياء بالكسر، أو يا عمُّ بالقطع عن الإضافة مطلقا ، أي إما أن تضيف وإما أن تقطع عن الإضافة ، فإذا قطعت عن الإضافة تقول يا عمُّ ، فإذا أضفت تقول يا عمِّ إما بإثبات الياء أو بكسر الميم .

قوله : «قل لا إله إلا الله» وهذا فيه عدم يأس النبي صلى الله عليه وسلم من دعوته .

قوله : «كلمةً أحاج» تقول : كلمةً بالنصب ؛ وتكون بدلاً من لا إله إلا الله **«قل لا إله إلا الله»** هذه الجملة في محل نصب مفعول به فتكون **«كلمةً»** بدلاً منها **«قل لا إله إلا الله كلمةً»** ، أو كلمةٌ بالرفع على أنها خبر لمبتدأ محذوف تقديره : هذه كلمة .

قوله :«كلمة أحاج لك بها» أحاجُّ بضم الجيم المشددة ، أو أحاجَّ بفتحها فتكون مجزومة فى جواب الأمر ولم يظهر السكون لأن الجيم مشددة ، وهنا سؤال : كيف يحاج له بها عند الله وهو في اللحظات الأخيرة ؟

ومعروف أن التوبة عند الغرغرة لا تنفع كما قال تعالى : ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾ {النساء:١٨} فلا تنفع عند الغرغرة أو الاحتضار، فأهل العلم فسروا هذا بتفسيرين :

الاحتمال الأول : إما أن يكون أتاه عندما بدأت علامات الموت ولم يصل إلى الغرغرة ، فالإنسان قد يأخذ يومين أو ثلاثة أو أربعة أو أكثر قبل أن تظهرعليه علامات الموت وتأتيه ، ولم يكن احتضر، والذي يؤكد هذا أنهم كانوا يقولون له ويرد عليهم، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول له ، ولا يجيب ، وهم يقولون : أترغب عن ملة عبد المطلب؟ وفي الأخير قال هو على ملة عبد المطلب، هذا احتمال ، المقصود أنه أتاه قبل أن يصل إلى مرحلة الغرغرة أي الاحتضار.

والاحتمال الثاني : أنه أراد أن يقول هذه الكلمة ولو في لحظات الاحتضار لعله يستطيع أن يجادل عنه بها يوم القيامة ، لذلك جاء في صحيح مسلم «**أشهد لك بها عند الله**»([1]) أي أقول أنه قال هذه الكلمة ، ويكون هذا من خصوصياته صلى الله عليه وسلم لعمه لما ذكرناه في موقفه من الدعوة وإحاطته ونصرته للنبي صلى الله عليه وسلم .

قوله : «فقالا له» انظر إلى مضرة أصحاب السوء، شياطين الإنس، وهم كثر، شياطين الإنس الذين يدمرون الإنسان حياً وميتاً بدلالته على طريق الشر، هذا حال جليس السوء ، «**فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟**» فلم يقولا له اثبت على دينك ، أو تذكّر ملة عبد المطلب ، وإنما قالا: أترغب عن ملة عبد المطلب ، وهذا نوع من أنواع الاستفهام الإنكاري ، أي ماذا تفعل؟ تريد أن تترك وترغب عن ملة أبيك وجدك وأجدادك؟ وهذ أسلوب فيه تهييج للشعور والعاطفة .

قوله (فأعاد عليه النبي صلى الله عليه وسلم) فلم ييأس ، بل قال له مرة أخرى يا عم قل لا إله إلا الله ، سبحان الله! انظر إلى محبة النبي صلى الله عليه وسلم للهداية ولنجاة الناس وأنه بعث رحمة للعالمين .

قوله : «فأعادا» أي أعاد المقالة مرة ثانية .

---

[1]) رواه مسلم برقم { ٣٩ – (٢٤) }.

قوله : «**فكان آخرَ**» أو «**آخرُ**» بفتح الراء وضمها وكلاهما صحيح «**آخرُ ما قال هو على ملة عبد المطلب**» آخر كلمة قالها أنه على ملة الأشياخ كما في صحيح مسلم «**هو على ملة الأشياخ**» وهذه حجة كثير من الكفار والمشركين وحجة كثير من المخرفين الذين يتعلقون بالأولياء وأصحاب القبور، يقولون كما قال أسلافهم ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾{الزخرف :٢٢} أي كيف نترك ما كان عليه آباؤنا وأجدادنا وأسلافنا وكبارنا (وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُون) .

قوله : «**وأبى أن يقول لا إله إلا الله**» أبى أن يقولها واستكبر عنها ، كما أبى فرعون أن يعترف برسالة موسى عليه السلام ؛ قال تعالى : ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾{النمل :١٤} وقال عن موسى أنه قال لفرعون :﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ﴾{الإسراء : ١٠٢} .

قوله : «**لأستغفرن لك**» ما زال النبي صلى الله عليه وسلم حريصاً على نجاة عمه ، فقال هذه الكلمة التي أكدها بهذه المؤكدات «**لأستغفرن لك**» لام القسم ، والقسم المقدر، ونون التوكيد، ثلاث مؤكدات .

قوله : «**لأستغفرن لك ما لم أنه عنك**» **فأنزل الله جل وعلا** ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ ﴿مَا﴾ هذه نافية ﴿**ما كان للنبي**﴾ لم يقل له لا تستغفر، وإنما قال ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾{التوبة: ١١٣} أي هذا الأمر ممتنع غاية الامتناع .

قوله ﴿وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى﴾ أي حتى لو كان أقرب قريب ، ومعلوم أنه لم يُستجب لإبراهيم عليه السلام في أبيه ، ولم يستجب لنوح في ابنه ، وكذلك لم يستجب للنبي صلى الله عليه وسلم في أمه ، وكذلك جاء في الحديث جواباً عمن سأله عن والده ، أي والد النبي صلى الله عليه وسلم ؛ قال له : « إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّار»([1]) وهذا يرد على كثير من الصوفية ومن يمشي في دربهم ممن يزعمون أن والدي النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة ، وهذان الحديثان يردان على هؤلاء وعلى من يقول بقولهم وأن النبي صلى الله عليه وسلم استأذن في أن يستغفر لأمه فلم يؤذن له ، لأنه لا يجوز الاستغفار للمشرك ، وكثير من العوام

---

[1]) رواه مسلم برقم { ٣٤٧ – (٢٠٣) }.

لا يتصور أن والدي النبي صلى الله عليه وسلم في النار، مع أن الأحاديث في ذلك صريحة وواضحة ، والقرآن الكريم والآيات التي معنا في عم النبي صلى الله عليه وسلم واضحة ، ومنها قوله تعالى :﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى﴾{التوبة :١١٣} حتى لو كان أباً أو أماً أو عماً أو جداً أو غير ذلك .

قوله : «وأنزل الله تبارك وتعالى في أبي طالب: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾» وسبق تفسيرها .

قوله : فيه مسائل:

الأولى: تفسير قوله : ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾.

سبق تفسيرها .

الثانية : تفسير قوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.

وهذه سبق الكلام عليها .

الثالثة: ـ وهي المسألة الكبرى ـ : تفسير قوله صلى الله عليه وسلم : "قل : لا إله إلا الله" بخلاف ما عليه من يدعي العلم .

أي أنه لو كانت {لا إله إلا الله} مجرد كلمة تقال ليس لها مقتضى ولوازم وشروط لقالها أبو طالب وانتهى الأمر ، لكن لما علم أبو طالب أن هذه الكلمة لها شروط ولوازم ومقتضيات لم يقلها ، كما قال الله جل وعلا عنهم أنهم قالوا ﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾{سورة ص :٥} فهم يعرفون أن مقتضى هذه الكلمة أن تُترك جميع الآلهة الأخرى ويُكفر بها ولا تُصرف العبادة إلا للواحد الأحد جل وعلا.

يقول «**بخلاف ما عليه من يدعي العلم**» لأن بعض الذين يدعون العلم كالمتكلمين من الأشاعرة وغيرهم يقولون أن معنى لا إله إلا الله : لا خالق إلا الله ولا رازق إلا الله ، وهذا المعنى يعرفه أبو طالب ويعرفه أبو جهل ، فلماذا لم يدخل هؤلاء في الإيمان والإسلام؟

الجواب: أن هذا ليس معنى لا إله إلا الله ، وإنما معناها : لا معبود بحق إلا الله ، أما المشركون فهم يقولون كما قال الله عنهم ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾{لقمان :٢٥} أبو جهل يعرف أن الذي خلق

السماوات والأرض هو الله لكنه يشرك به في عبادته ، فيريد الشيخ أن يرد على من يفسر لا إله إلا الله بلا قادر على الاختراع أوعلى الخلق إلا الله ، يقول بأن هذا المعنى يعرفه كفار قريش .

الرابعة: أن أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبي صلى الله عليه وسلم إذ قال للرجل: قل لا إله إلا الله . فقبح الله من أبو جهل أعلم منه بأصل الإسلام .

فأبو جهل يعرف أن هذه الكلمة إذا قالها فإنه سيترك المعبودات والآلهة التي كان يصرف لها العبادة ، وكثير من الناس الآن يقول لا إله إلا الله ؛ ويقول مدد يا بدوي ، ويا حسين ، ولا أحد ينكر عليه إلا من رحم ، فطلب المدد والعون من الأموات شرك واضح وصريح ؛ مثل ما كان يفعله المشركون الأوائل ، لكن الناس لما سرت بينهم هذه الكلمات ولم يستنكرها أحد وكثر الجهل بأمور التوحيد ، لاتكاد تجد لها منكراً. «**فقبح الله من أبو جهل أعلم منه بأصل الإسلام**» أبو جهل يعرف أنه لو قال لا إله إلا الله فيجب عليه أن يترك هذه المعبودات كلها، ويترك الاستغاثة بالجن والملائكة واللات والعزى ، وأن يترك دعوة هؤلاء والاستشفاع بهم والذبح والنذر لهم إلى غير ذلك.

الخامسة: جده صلى الله عليه وسلم ومبالغته في إسلام عمه. وهذا واضح في الحديث.

السادسة: الرد على من زعم إسلام عبد المطلب وأسلافه.

كبعض غلاة الصوفية والروافض .

السابعة:كونه صلى الله عليه وسلم استغفر له فلم يغفر له،بل نُهيَ عن ذلك.

وهذه واضحة.

الثامنة: مضرة أصحاب السوء على الإنسان.

سبقت في الشرح .

التاسعة: مضرة تعظيم الأسلاف والأكابر.

لأن أبا طالب امتنع عن الإسلام بسبب تعظيمة لملة أسلافه ، والمسألة فيها تفصيل ، فلا مانع من تعظيم الأسلاف والأكابر إذا كانوا على حق، فنحن الآن نعظم السلف الصالح والأئمة الأربعة والأئمة الكبار ونأخذ بكلامهم وأقوالهم في الاعتقادات وفي الأعمال ، لكن إذا ثبت أن الأسلاف والأكابر على باطل فعندئذ لا يصح للإنسان أن يعظمهم أو يقلدهم على هذا الباطل ، وهذا مراد المؤلف.

العاشرة: الشبهة للمبطلين في ذلك ؛ لاستدلال أبي جهل بذلك.

لأنهم استدلوا بتعظيم أبي طالب لملة اسلافة ، وكانت هي الحائل بينه وبين الإسلام .

الحادية عشرة: الشاهد لكون الأعمال بالخواتيم ، لأنه لو قالها لنفعته.

كما في قول النبي صلى الله عليه وسلم : "أحاج لك بها عند الله" فدل على أنه لو قالها لنفعته .

الثانية عشرة: التأمل في كبر هذه الشبهة في قلوب الضالين ؛ لأن في القصة أنهم لم يجادلوه إلا بها ، مع مبالغته صلى الله عليه وسلم وتكريره ؛ فلأجل عظمتها ووضوحها عندهم اقتصروا عليها . قالوا له : هل ستترك ما كان عليه الآباء والأجداد؟ فلم يأتوا له إلا بهذه الشبهة ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾ وكذلك قال من بعدهم من هذه الأمة من المتعصبة ومن متعصبة المذاهب والجهلة فلو جئت له بحديث أو بأثر أو بسنة يقول هذا ما سمعناه ، وهذا الذي كنا نعيش عليه وسنموت عليه ، حتى لو كان في كتاب الله أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قوله : «أنهم لم يجادلوه إلا بها» أي بقولهم ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾{الزخرف :٢٢} فهل تترك دين آبائك؟ **«مع مبالغته صلى الله عليه وسلم وتكريره»** أي قال له مرة واثنتين وثلاثة **«فلأجل عظمتها ووضوحها عندهم اقتصروا عليها»** أي لمعرفتهم أن هذه حجة قوية لا يستطيع أحد أن يردها ، وهذه الحجة موجودة إلى الآن ، وكثير من الناس يحتج بها ، فعندما فتدله على الصواب وتدله على السنة ، يقول لك نحن رأينا فلانًا وفلاناً على هذه الطريقة في الصلاة والعبادة مثلاً ؛ فلن نتركها حتى لو أتيت لنا بما في كتاب الله أو ما في الصحيحين، وهذه شبهة المشركين الأوائل.

والله أعلم .